

مداخلات لغويةمعاني (إنما) أم معاني الحصر أوس إبراهيم الشمس

ليس السيوطي والمرادي متفردين بالإشارة إلى موقف أبي حيان من دلالة (إنما) علر إلى ذلك عدد من العلماء(1)، منهم السبكي في (الإبهاج) الذي ذكر أن الذي نقله شيد البصريين المذهب الثاني وكان مصممًا عليه ويتغالي في الردّ على من يقول بإفادتها والده الذي كان «له كلام مبسوط في المسألة اشتد نكيره على الشيخ أبي حيان على لجاج وأن اللبيب لا يقدر أن يدفع عن نفسه فهم أن إنما للحصر ومن أحسن ما و الاستدلال على أنها للحصر قوله تعالى: {وَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَأَنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ} فقال هذه الّدي للحصر؛ فإنها لو لم تكن للحصر لكانت بمنزلة قولك وإن تولوا فعليك البلاغ وهو علر يتولوا أو إنما الذي رتب على توليهم نفي غير البلاغ ليكون تسلية له ويعلم أن توليهم

وكان أبو حيان يحتج بـ«أن الحصر لا يفهم من أخواتها التي كفت بما، فلا فرق بين: له ولعلّما زيد قائم، فكذلك: إن زيدًا قائم، وإنما زيد قائم»(3)، ولا حجة له في ذلك لأنّ بالمعنى لا التصرف الإعرابي؛ إذ الأخوة بين إنّ وأخواتها أخوة عمل إعرابي وأما الدلالة دلالة مختلفة، وأمر آخر هو أنّ التوكيد هو معنى (إنّ) والحصر مجانس له فهو توكيد :

ووافق ابن عطية في كلامه عند قوله تعالى {إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ}[النساء-171] حيث قـ «(إنما) في هذه الآية حاصرة، اقتضى ذلك العقل في المعنى المتكلم فيه، وليست تقتضي الحصر، ولكنها تصلح للحصر والمبالغة في الصفة، وإن لم يكن حصر نحو: إذ عنتره»(4)، وليس كلام ابن عطية مسلمًا؛ لأنّ غير المؤمن لا يهديه عقله إلى حصر الـ ولذا لزم التقرير، وكذلك المثال المضروب هو حصر للشجاعة في عنتره ولكنه على سـ وعلق أبو حيان فقال «وكلام ابن عطية فيها هنا أنها لا تقتضي بوضعها الحصر صحى ما في أذهان كثير من الناس»(5). وأبو حيان يشهد بتعليقه على مذهب أكثر الناس، و الدكتور عادل حسني أن من يثبت الحصر لـ(إنما) قلّة.

وينكر على الزمخشري قوله بدلالاتها على الحصر في قوله تعالى (إنما يوحى إلي) قال دالة على الحصر لزم أن يقال إنه لم يوح إليه شيء إلّا التوحيد؛ وذلك لا يصح الحصر أشياء غير التوحيد»(6)، وليس يقتضي الحصر نفي غير التوحيد بل بيان أهميته حتى كأ على نحو من المبالغة والمجاز. وهذا من أغراض الحصر المختلفة. ومثل هذا يقال جو قوله تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[فاطر-28]، قال:«ومن ادعى أن إنما لـ

ما يخشى الله إله العلماء، فغيرهم لا يخشاه، وهو قول الزمخشري. وقال ابن عطية: تخصيص العلماء لا الحصر، وهي لفظة تصلح للحصر وتأتي أيضًا دونه، وإنما ذلك بـ جاءت فيه» (7). ومعلوم عقلًا أنَّ العلماء وغيرهم يخشون الله؛ ولكن السياق سياق م قرينة العلم والعصيان قرين الجهل وطالما وصف العصاة بالجهل، كقوله تعالى {وَاللَّ كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف-33]. وكنت تتبعت كثيرًا من استعما فوجدته يستعملها للحصر، من ذلك قوله «لأن الكبرياء إنما هي لله تعالى، فمحال أن حقيقة» (8). إذ يمكن صياغة عبارته هكذا: لأن الكبرياء ما هي إلا لله تعالى؛ فمحال أن حقيقة.

(1) انظر: صَبَّاح عبيد دراز، أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية (ط1، م القاهرة، 1986م) ص 211.

(2) السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي (دار الكتب العلمية/ بيروت، 1995م)

(3) أبو حيان، تفسير البحر المحيط، 1: 43.

(4) أبو حيان تفسير البحر المحيط، 1: 325.

(5) أبوحيان، تفسير البحر المحيط، 3: 325.

(6) أبوحيان، تفسير البحر المحيط، 6: 251.

(7) أبوحيان، تفسير البحر المحيط، 7: 295.

(8) أبوحيان، تفسير البحر المحيط، 1: 275.